

حضرية كنيسة خربة الدوير / جنين الصفا ١٩٩٧ م

إعداد: اسماعيل أحمد ملحم

الفسيفسء اضافة الى حجارة بناء مشدبة مبعثرة في الموقع.

وي فقد الموقع على نطاق أوسع لوحظ وجود العديد من الكهوف والمدافن الفردية والجماعية، ومعاصر العنبر، وجميعها مقطوعة في الصخر الطبيعي الكلاسي الذي يميز تضاريس المنطقة، كما لوحظ وجود عدة مقاطع في الصخر تشير الى قطع الحجارة المشدبة من نفس الموقع.

في ضوء ذلك تقرر إجراء حفريات عرضية بهدف استكشاف الموقع ومعرفة ماهيته، ولمنع العابثين بالآثار من تدميره، حيث بوشرت أعمال التقييب على الفور ابتداءً من تاريخ ١ نيسان ولغاية ٥ حزيران ١٩٩٧. وقد كشفت النتائج الأولية للتقييب عن كنيسة بيزنطية - أموية.

أعمال التقييب

تكون فريق التقييب من اسماعيل ملحم مشرفاً، وحرّاس الآثار التابعين لمكتب آثار الكورة كمراقبين للورشة بالتراوب وهم حسين بنى يونس، زايد السلامة، ياسر عبدالنبي، بسام بنى يونس، ومحمد بنى حمد، اضافة الى حارسين دائمين للموقع وستة عمال.

لغایات الحفر المنظم استخدمت الطريقة الشبكية في عمل المربعات، قياس كل مربع ٤م × ٤م، وبين كل مربع وآخر فاصل بعرض ٥ سم. ابتدأت أعمال الحفر في المربع A (جدول رقم ١) الذي وجد فيه آثار

X ₆	Y	Z	A ₁	A ₂	A ₃
X ₅	L	K	J	A ₄	A ₅
X ₄	C	B	A	O	A ₆
X ₃	D	E	F	N	Q
X ₂	G	H	I	M	P
X ₁	R	S	T	V	W

جدول (١) المخطط الشبكي للمربعات.

الموقع

تقع خربة الدوير غرب بلدة جنين الصفا / لواء الكورة في محافظة اريد، وتحديداً تقع شمال / شرق بلدة دير أبي سعيد مركز اللواء حوالي ٧كم. ولغواياً فإن كلمة الدوير هي تصغير لكلمة دير، والدير هو خان النصارى، وجمعة أديار، وصاحبته الذي يسكنه ديار ديراني (ابن منظور ١٩٩٠: ٢٩٦، ٢٩٧).

تشتهر جنين الصفا بتربية الأبقار ويوجد فيها حوالي (٢٠٠٠) رأس بقر، كما تشتهر بسهولها الخصبة وخصوصاً في خربة إرخيم التي تنتج معظم المحاصيل الشتوية والصيفية وخاصة البصل والبامية. كما يقوم المواطنون باستصلاح الأراضي ذات الطبيعة الصخرية وزرعها بأشجار الزيتون. وتتوارد الأشجار الحرجية في عدة مناطق مجاورة للبلدة.

ترتفع بلدة جنين الصفا عن سطح البحر حوالي ٣٦٣م، كما يبلغ معدل سقوط الأمطار السنوية فيها ما لا يقل عن ٣٠٠ ملم، ويبلغ عدد سكان البلدة حوالي أربعة آلاف نسمة.

المسوحات الأثرية

أشارت المسوحات الأثرية السابقة الى بلدة جنين الصفا، إذ يذكر سيفندر متمان فترات الاستيطان التي شهدتها البلدة: العصر الحديدي الثاني، العصر الهلنستي، العصر الروماني، العصر البيزنطي، العصر الإسلامي (Mittmann 1970: 258). كما أشار كل من باننج وفاوكوت ضمن مسحهما لوادي زقلاب الى وجود دلائل تشير الى وجود كنائس واستيطان مزدهر من العصر البيزنطي (Banning and Fawcett 1983: 302-305).

الكشف عن الموقع

تم الكشف عن الموقع بتاريخ ١٩٩٧/٤/١، أشاء جولة تفتيسية على الموقع الأثري قام بها مفتش آثار الكورة يرافقة حارس الآثار حسين بنى يونس والسائق خلف حمورى، حيث تبين وجود تخريب وحفريات غير شرعية من قبل مجهلين في قطعة الأرض رقم ٨ حوض رقم ٧ المسمى حوض كرم الحمام، المملوكة لعدد من مواطنى سكان بلدة جنين الصفا. وقد تم ضبط أدوات الحفر ومصادرتها، كما لوحظ تكشف رقعة من

الأرضيات، نظراً لصعوبة الاجراءات المتبعة في قطع الأشجار الحرجية (شكل ١).

مخطط الكنيسة

بعد انتهاء أعمال الحفر والتنظيف وإزالة الحجارة المتراسمة اتضح مخطط الكنيسة وتقسيماته، غير أن أجزاء من أرضية الكنيسة قد دُمرت إما نتيجة سقوط حجارة البناء في أعقاب التلزال المدمر الذي يغلب أنه زلزال عام ٧٤٧، وإما نتيجة أعمال التجريف الحديثة. غير أن ما تبقى من أرضية الكنيسة إضافة إلى أساسات جدرانها يعطي تصوراً واضحاً تقريراً عن وضع هذه الكنيسة.

تم بناء الكنيسة على نظام البناء البازيليكي، فالمبني مستطيل الشكل يتكون من رواحين جانبين ورواق أوسط (صحن الكنيسة)، ويتقدم المبني في الجهة الشرقية الهيكل وحنيّة الكنيسة. تبلغ أبعاد هذه الكنيسة حوالي ٣٠ م شرق - غرب بما في ذلك الحنيّة والبهو الأمامي لمدخل الرئيسي. كما يبلغ عرض الكنيسة حوالي ١٣ م بدون بقایا الحجرات الملحقة في الجهة الجنوبية (شكل ٢ ، ٣).

وفيما يلي وصفاً لأقسام الكنيسة وملحقاتها:

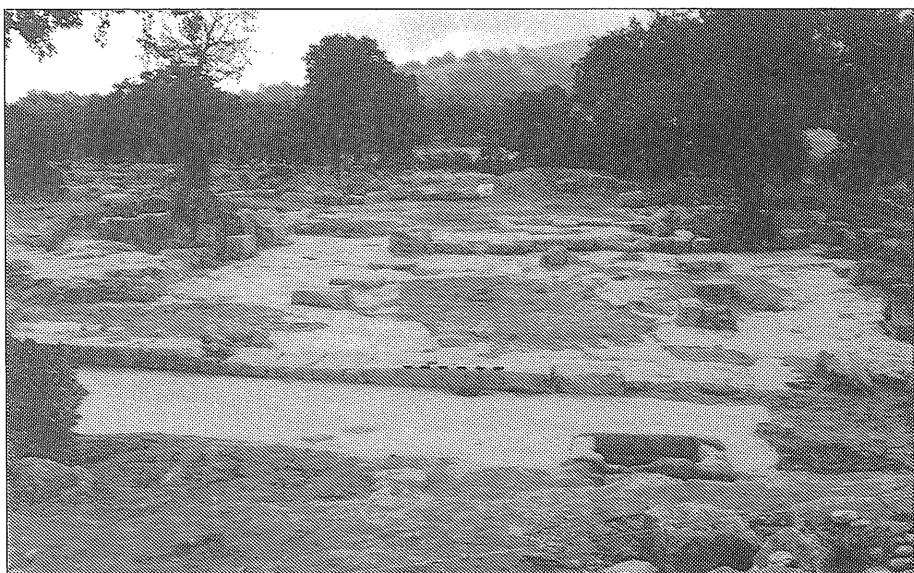
١- وهو الخارجي لمدخل الكنيسة

يقع هذا وهو في الجهة الغربية من مبني الكنيسة، يبلغ عرضه ٢٥٠ سم، وطوله ١٢ م وهو مواعي لطول الجدار الغربي للكنيسة. رصفت أرضيته بالفسيفساء البيضاء اللون المتوسطة الحجم. وجد في أرضية وهو وعلى يمين مدخل الكنيسة مدفن منحوت في الصخر الطبيعي له مدخل رأسي مركب من عدة حجارة، و يبدو

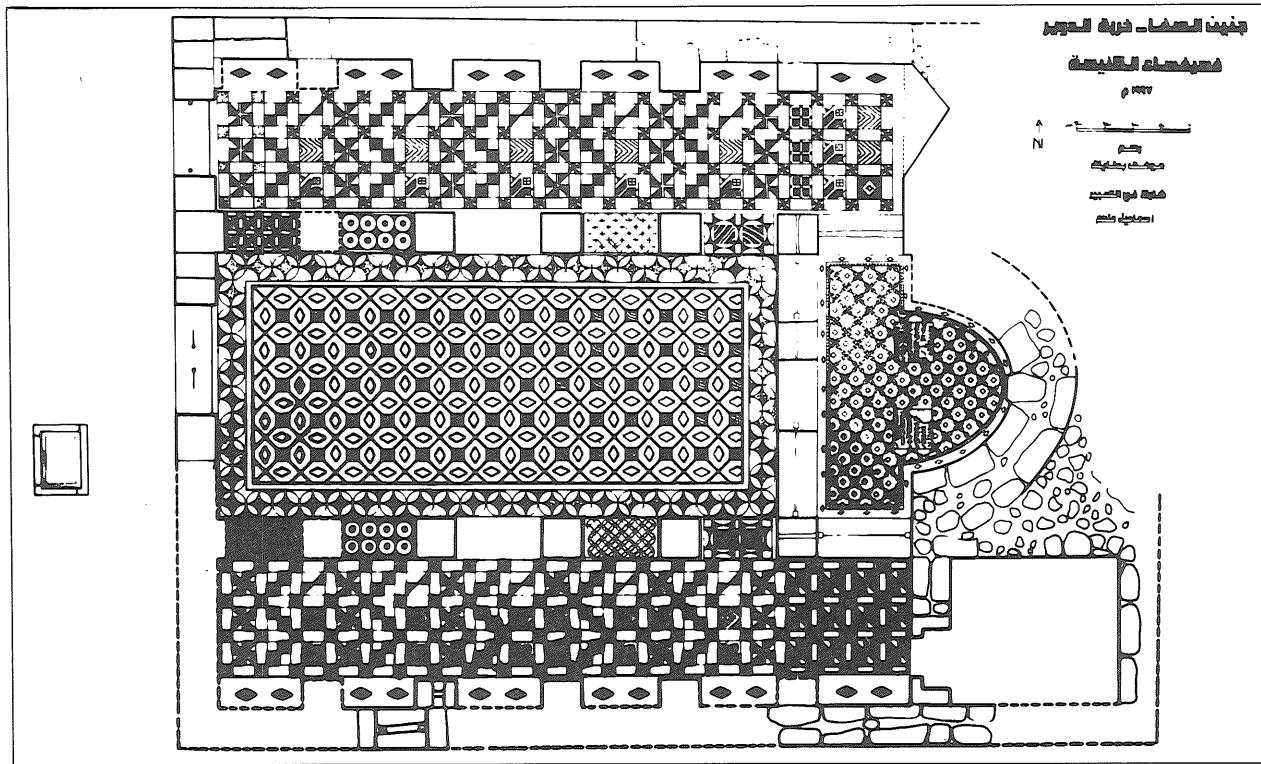
التخريب وتكتشفت رقعة الفسيفساء. بلغ مجموع المربعات مع انتهاء أعمال الحفر ٣٦ م مربعاً بمساحة إجمالية ٢٤x٢٤ م. تراوحت سماكة التربة فوق الأرضية الفسيفسائية المكتشفة بين ٢٠ سم - ٧٠ سم، وهي تربة بنية اللون متواسطة الصلابة، وفتقر لسلسل طبقي واضح بسبب تعرض الموقع لأعمال التجريف من قبل ملاك الأرض بقصد استصلاحها، وتعرضها لأعمال النبش من قبل مجهولين بحثاً عن لقى أثرية، أضف إلى أن المنطقة كانت مسكنراً سابقاً للجيش الأردني.

تبين خلال أعمال الحفر في المربعات وجود أنقاض لمبني الكنيسة ممثلة بتراسيمات لحجارة المبني بقياسات مختلفة أغفلتها ساقطة فوق بعضها أو على الأرضية مباشرةً أو يفصلها عن الأرضية طبقة تراب صفراء اللون بسمك ٥-٦ سم أو بلون بنى فاتح بسماكة ١٠-٢٠ سم. تركزت حجارة البناء الساقطة بشكل خاص في المربعات: O, J, F, A. ولوحظ أن لون التربة بين الحجارة في مربع A ممزوج بآثار حريق، كما وجد في ذات المربع تحت أحدي هذه الحجارة إبريق فخاري كامل الشكل بطول ٢٣ سم له يد وصنبور وقاعدة حلقة، ويؤرخ للقرن الثامن الميلادي من العصر الأموي.

من ناحية أخرى فإنه من الجدير ذكره أن نمو العديد من الأشجار الحرجية (البلوط) فوق الأرضيات الفسيفسائية والجدران قد أضر كثيراً بالموقع، إذ أن تمدد الجذور داخل الموقع سبب ضعف البنية العمائرية وتماسك عناصرها. وللأسف فقد حالت عدة أشجار بسبب وجودها فوق الأرضية الفسيفسائية وفوق الجدران مباشرة دون الكشف الكامل عن



شكل (١) منظر عام للكنيسة،
يلاحظ في المقدمة مدخل
المدفن الأرضي.



شكل (٢) المخطط العام للكنيسة مع إعادة تصور لفسيفسائها المفقودة.

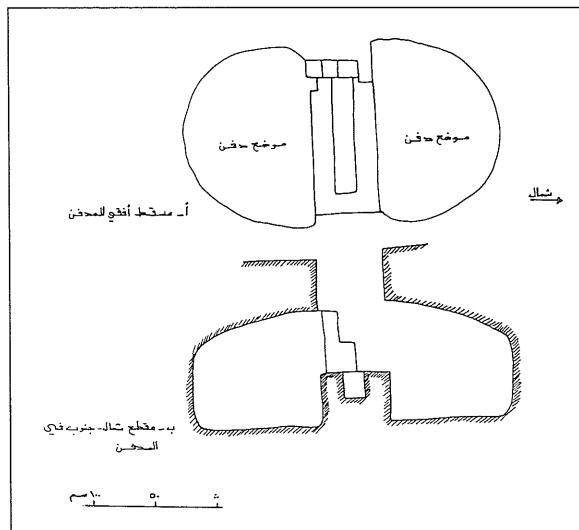
الجماعي بسبب اتساعهما. يتوسط المساحة بين القبرين الشمالي والجنوبي تجويف مستطيل الشكل منتظم بقياس ٢٠×٩٠ سم، يُحتمل أنه كان يستعمل كممر صغير بين القبرين. غير أن المدفن بكامله وجد منبوباً، حيث لم يُعثر إلا على كسر قليلة جداً من العظام الأدمية وجزء من عظام جمجمة وكسر فخارية، ومكعبات فسيفسائية من الحجم الكبير والمتوسط بيضاء اللون. غير أن المثير للاستفهام أن المدفن وجد مطموراً بكامله بالأترية والحجارة بطريقة متعمدة، مما يشير إلى محاولة لإلغائه في فترة لاحقة (شكل .٢.١).

٢- مدخل الكنيسة الرئيسي

يقع مدخل الكنيسة الرئيسي ضمن الجدار الغربي للكنيسة، وهو مكون من بوابتين رئيسيتين لدخول المصلى إلى أروقة الكنيسة كانتا مثبتتين على عتبتين حجريتين بهما مفرزين لأعمدة البوابتين، إحدى العتبتين بطول ١٣٠ سم والأخرى ١٨٠ سم (انظر شكل ١).

٣- أروقة الكنيسة الداخلية

تتكون الكنيسة من ثلاثة أروقة: الرواق الشمالي، والرواق الأوسط، والرواق الجنوبي. وتتوزع بين الأروقة وعلى أطرافها قواعد حجرية مثبتة كانت تقوم عليها



شكل (٣) مقطع ومقطع للمدفن الموجود في أرضية البهو الأمامي.

أنه كان له غطاء، أطوال فتحة مدخل المدفن ٦٥×٤٤ سم، وتنبع عند الدخول لأسفل المدفن بعرض حوالي ٥٤ سم، يتم الدخول إلى المدفن بشكل عمودي للأسفل بواسطة درجتين.

نحت المدفن في الصخر الطبيعي، فيه قبرين جانبيين متساوين تقريباً في الجهات الشمالية والجنوبية أبعادهما ١٤٠×١٠٠ سم، ارتفاع أقصاه ٢٠ سم، يبدو أن هذين القبرين كانوا يستعملان للدفن

٤- حنية وهيكل الكنيسة
 بُنيت حنية الكنيسة على شكل قوسى، نصف قطره ١٧٥ سم شرق - غرب، والآخر حوالي ٢٥٠ سم شمال - جنوب، ويمتاز بناءها بسماكة الجدار حيث يصل عرض جدار الحنية حوالي ٢٣٠ سم، استخدمت فيه في الواجهة الداخلية حجارة مشذبة ربما استخدمت على ارتفاع مناسب لاستعمالها كمقاعد لجلوس الجوقة الموسيقية المرافقة للكاهن. يضم جدار الحنية في معظمها حجارة غير مشذبة في أكثرها. الجزء الشمالي من الحنية متعرض للتدمير بسبب أعمال التجريف الحديثة ويلاحظ تواجد بقايا قصارة بيضاء على الجدار الداخلي للحنية (شكل ٤).

يوجد في المنطقة الأمامية من الحنية ما يُطلق عليه (المهيكل) وهو المكان الذي تم فيه الطقوس الدينية من قبل الكاهن ومرافقه. طول هذه المنطقة ٦م بعرض ٣٠-٣٣م ابتداءً من الحاجز الأيقوني الذي يقع في الجهة الغربية من المهيكل، وفيه عتبات مغارز حجرية للحاجز الذي كان يزدان بالصور والرموز الدينية، وبالعادة يكون الحاجز مصنوعاً من الخشب. يتوسط العتبات الحاجز الحجرية أفنية وفجوات لثبت الحاجز الخشبي (الدرازبين) (شكل ٤).

كما يتوسط منطقة المهيكل حجر قاعدة المائدة المقدسة التي كانت توضع عليها الأنجليل والشمعدان، وهذا الحجر كلاسي عليه نحت لخطوط نافرة، أطواله ٣٠-٣٣م. وجد في أرضية المهيكل وعلى جانبها قاعدة المائدة المقدسة نقشين كتالبيين باللغة اليونانية، سُنفِّصل في دراستهما لاحقاً (شكل ٥). كما وجدت بقايا أعمدة صغيرة كانت مفروزة بالأرضية

حجارة بناء أو أعمدة ترفع أقواس متاظرة، ترفع بدورها سقف الكنيسة الذي كان يغطيه القرميد المحروق، والذي وجدت قطع عديدة منه. أطوال هذه الأروقة كالتالي:

الرواق الشمالي: طول ١٢ م × ٢٦٠ سم.

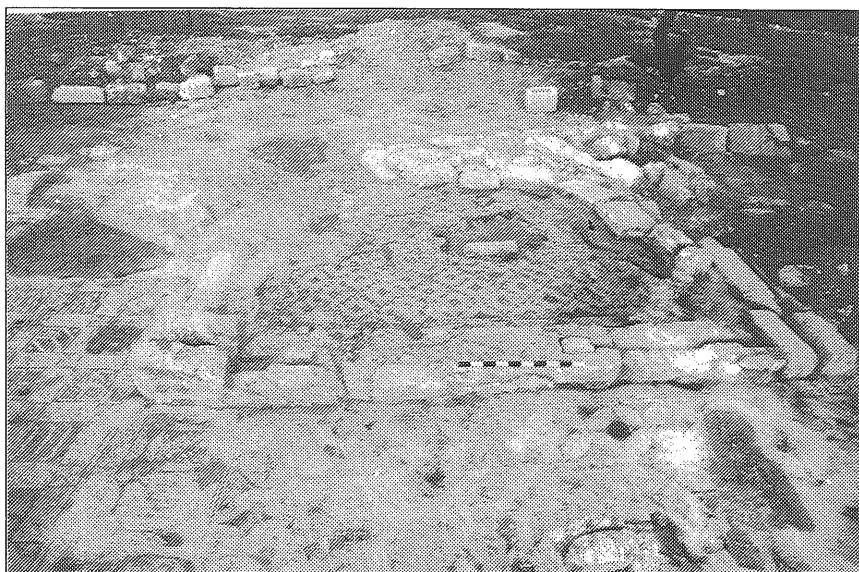
الرواق الأوسط: طوال ١٠ م × ٤٧٠ سم.

الرواق الجنوبي: طول ١٢ م × ٢١٠ سم.

هيكل الكنيسة: طول ٥ م شرق - غرب × عرض ٦م شمال - جنوب (شكل ٤).

للحظ أن بعض قواعد الأعمدة قد بُنيت من قطعة حجرية واحدة وبعضها الآخر من قطعتين حجريتين متجاورتين، كما لوحظ وجود آثار قصارة بيضاء عليها. وأن بعض القواعد مفقودة إما نتيجة أعمال التجريف أو بسبب نقل الحجارة حديثاً من قبل المواطنين. رصفت أرضيات الأروقة الثلاثة بالكمببات الفسيفسائية الصغيرة الحجم والملونة والتي شكلت زخارف متوعنة. احتفظ الجدار الشمالي للرواق الشمالي بجزء واضح من تركيبته، حيث استخدم فيه حجارة مشذبة متوسطة وكبيرة الحجم، وقد احتفظ الجدار بثلاثة مداميك، ومن طريق الأمور أن حفظ الجدار من الدمار كان نتيجة نمو شجرة بلوط فوقه بشكل مباشر، مما أبعد عنه خطر التجريف. بالنسبة إلى مستوى الأرضيات الفسيفسائية فهو غير متوازن نظراً لهبوط الأرضيات في بعض الأجزاء، حيث تتواجد طبقة أساس ترابية، وأيضاً لسقوط حجارة البناء عليها وتعرضها للإنشاء.

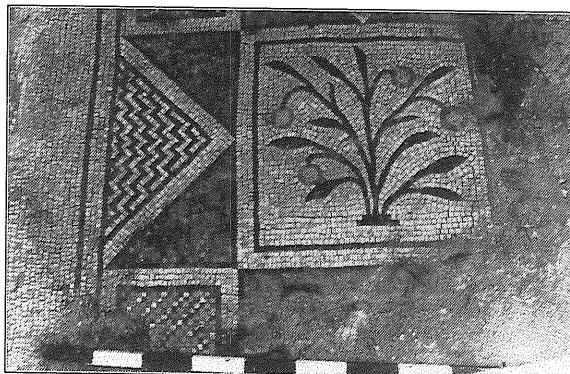
نسرد لاحقاً وبالتفصيل وصفاً للأرضيات الفسيفسائية.



شكل (٤) منظر عام لمبناي الكنيسة والحنية.

يوصلها بالرواق الجنوبي بعرض حوالي ٨٠ سم. لكن للأسف تعرضت للتدمير وانزلاق الحجارة في الجهات الشرقية والشمالية والجنوبية. كانت أرضيتها مرصوفة أصلًا بالفسيفساء، حيث وجد جزء منه من النوع الأبيض غير الملون، إلا أن الجزء الأكبر وجد مدمرًا (انظر شكل ٢).

بـ- الحق بالكنيسة أيضًا في الجهة الجنوبية ما يغلب أنه حجرتين إحداهما أكبر مساحة من الأخرى، وتتضح بقايا حجارة بناء الحجرة الأولى وهي الصغرى قياس $2\text{m} \times 4\text{m}$ تقريبًا، الحجارة مشدبة، ومنزلقة عن أماكنها في الجهة الغربية. أما الحجرة الثانية فعرضها تقريبًا $4\text{m} \times 5\text{m}$ ، وقد دُمرت هذه الحجرة ولم يُعثر على جدرانها في الجهتين الجنوبية والشرقية. وجدت في أرضية الحجرة الأخيرة رقع صغيرة من الفسيفساء ذي المكبات الملونة الصغيرة الحجم $8\text{cm} \times 8\text{cm}$ ، عليها صورة لشجيرة تفاح صغيرة، وبقايا نقش عليه كتابة يونانية في إطار دائري، وعدد من الأشكال الهندسية كالمثلثات، وسنفصل لاحقًا قراءة التمثال (الشكل ٩، ٨).



شكل (٨) زخرفة شجيرة تفاح يجاورها أشكال هندسية في الحجرات الجنوبية للكنيسة.



شكل (٩) بقايا نقش باللغة اليونانية في الحجرات الجنوبية للكنيسة.



شكل (٥) نقشان باللغة اليونانية في حنية الكنيسة يتوضّلها قاعدة المائدة المقدسة.

الفسيفسائية، وقد وجدت اثناء التنقيب عدة قطع من هذه الأعمدة التي كانت تزين منطقة الهيكل، ووجد أيضًا جُرْن حجري مربع الشكل تقريبًا $41\text{cm} \times 41\text{cm}$ × ارتفاع 40cm ، ربما كان يستخدم كجُرْن للمعمودية (شكل ٦ ، ٧).

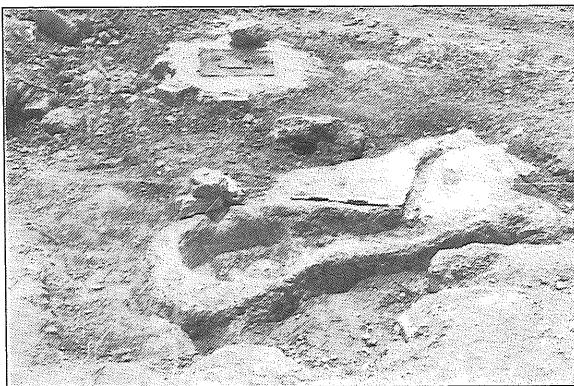
٥ـ الحجرات الملحقة بالكنيسة
أـ الحق بالكنيسة في الجهة الشرقية حجرة مربعة الشكل تقريبًا $200\text{cm} \times 200\text{cm}$ ، لها مدخل



شكل (٦) أحد الأعمدة التي كانت تزين منطقة الهيكل، وجد خارج الرواق الجنوبي.



شكل (٧) جُرْن المعمودية، وجد في منطقة الهيكل بشكلٍ عشوائي.



شكل (١١) بئر الماء يجاوره حوض الترسيب الملحق بالكنيسة.

من عدة عناصر زخرفية ملونة ذات أشكال هندسية منوعة تخلو من العناصر ذات الروح، وتغطي الأرضيات الفسيفسائية الأروقة الثلاثة والحنية والهيكل والبهو الأمامي لمدخل الكنيسة، كما عُثر على بقايا رقع فسيفسائية خارج الجدار الجنوبي للكنيسة في أرضيات الحجرات الملحقة، ورقعة صغيرة شرقى الرواق الشمالي. استخدمت المكعبات الفسيفسائية ذات الألوان الأحمر، البرتقالي، البني، الأصفر، الأزرق، الأسود، الرمادي، إضافة إلى اللون الأبيض. وفيما يلي وصفاً للزخارف على الأرضيات الفسيفسائية:

١- فسيفساء الحنية والهيكل

الأرضية سليمة في معظمها تقريباً، وتشمل زخرفة تيجان زهرة متكررة مكونة شكل معيني يتوسطه معين صغير في وسطه صليب، وقد استخدم في هذه الأشكال اللون الأحمر واللون الرمادي إضافة إلى اللون الأبيض. كما يوجد في منتصف الأرضية الفسيفسائية لحنية الكنيسة مريعين بمساحة ٧٠ سم × ٧٠ سم لكل منها إطار باللون الأحمر، ويداخلهما نقشين كتابيين باللغة اليونانية، ويقعان على جانبي قاعدة المائدة المقدسة، استخدم في إظهار الحروف اللون الرمادي الغامق.

ترجمة النعش الأول على الجهة اليمنى باللغة العربية:

«في زمان الكاهن بيشوب بولص المحبوب من الله ورومانيوس عملت التجديديات في هذه الكنيسة».

ترجمة النعش الثاني على الجهة اليسرى باللغة العربية:

«الشكر للقسис كرياكوس الذي يطلب من الله تقبل الأرضية الفسيفسائية التي عملها تخليداً

١ - قامت بقراءة النعشين وترجمتهما د. دومينيك محيسن، الأستاذة سابقاً في علم النقش الكلاسيكي في معهد الآثار والأنثروبولوجيا - جامعة اليرموك.

٦- ناووس حجري

وُجد هذا الناووس الحجري في الجهة الشمالية / الشرقية من الكنيسة وعلى بعد ١٢٠ سم عن الجدار الشمالي للكنيسة، وهو مشغول من الحجر الكلسي متوسط الصلابة، تعرض للكسر بفعل أعمال التجريف الحديثة مما أضر بتركيته. أطواله ٢٢٠ سم × ٨٠ سم، وقد وجد للأسف مفرغاً من محتوياته، عثر بجانب هذا الناووس في المساحة بينه وبين الجدار الشمالي للكنيسة على كمية كبيرة من الكسر الفخارية والزجاجية جُلّها يُؤرخ للقرن الثامن الميلادي وتمثل كسر لأواني طبخ وكسر لأباريق وأسربجة وجرار، أضف إلى كسر زجاجية لأواني صغيرة وقوارير، مما يُعطي مؤشراً على طقوس كانت تؤدي احتراماً للمتوفى بوضع هذه المشغولات الفخارية والزجاجية بالقرب منه (شكل ١).

٧- رصيف للمشاة

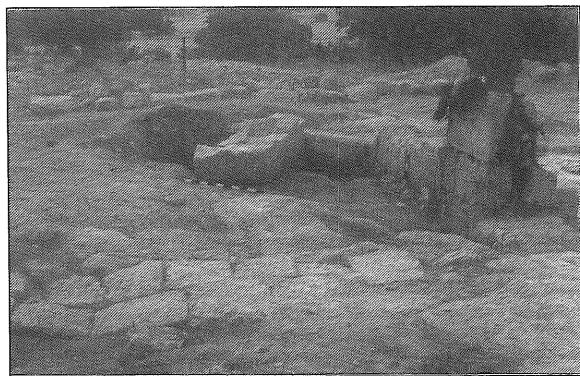
وُجد هذا الرصيف في الجهة الشمالية من الكنيسة مبني من حجارة مرصوفة بشكل مسطح بعرض ٢ م × طول ٤ م، مما يشير إلى احتمال وجود مدخل شمالي للكنيسة كان هذا الرصيف يقتدمه (شكل ١).

٨- بئر ماء

بني هذا البئر في الجهة الغربية من الكنيسة، وهو منحوت في الصخر الطبيعي، يصل عمقه ٩-٨ متر، ويعاصره جُرن منحوت في الصخر الطبيعي موصول بقنطرة ر بما لترسيب الشوائب قبل دخول ماء المطر إلى البئر شكل (١١).

فسيفساء الكنيسة

تتكون الأرضية الفسيفسائية لكنيسة خربة الدوير



شكل (١٠) الجهة الشمالية للكنيسة، فيها الجدار الشمالي وناوس حجري ورصيف للمشاة.

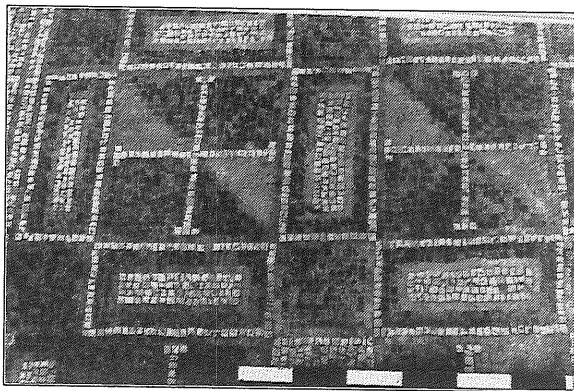
خارج الإطار الذي يشمل شبكة المربعات الهندسية، شكل معين باللون الأحمر والبرتقالي موزع بشكل متكرر ضمن الأرضية ذات اللون الأبيض (شكل ١٢). (١٢).

للحظ وجود أعمال ترميم في أرضية الرواق الشمالي في الجهة الغربية استخدم فيها المكعبات البيضاء ذات الحجم الكبير إضافة إلى الملاط، كما لوحظ وجود عمليات ترقيع وترميم بين قواعد الأعمدة استخدمت فيها مكعبات فسيفسائية أكبر حجماً من المكعبات الأصلية. يوجد في الجهة الشرقية من الرواق الجنوبي زخرفة مميزة لم يُعمل مثالها في الرواق الشمالي وهي عبارة عن استخدام مربعات متغيرة بينها مستطيلات صغيرة روعي فيها التدرج اللوني والتركيز خاصة على الألوان البنفسجي والأحمر والأصفر والبرتقالي وركز على اظهار صليب باللون الأبيض يتوسط المربعات (شكل ١٤). (١٤)

ووجدت زخارف فسيفسائية مشابهة للعناصر التي وجدت في أروقة كنيسة خربة الدوير في كنيسة تعود إلى القرنين الخامس والسادس الميلاديين في موقع اليصيلة شمال شرق مدينة أريد بـ ٨كم.

(Al-Muheisen 1991: 341-346, PI. II,2)

٣- فسيفساء الرواق الأوسط (صحن الكنيسة)
تتوزع على جانبي الرواق الأوسط من كل جانب ستة قواعد كانت ترتفع أعمدة أو حجارة بناء لترفع بدورها السقف. زخرفت المساحات بين قواعد الأعمدة الفاصلة بين الرواق الشمالي والرواق الأوسط بزخارف هندسية مميزة في كل مساحة وتحتفل عن الزخارف المجاورة لها، مثل استخدام الدوائر وبداخلها مربعات ملئت بخطوط مكررة بشكل درجات، ودوائر متداخلة يُشكل تداخلها ما يشبه الزهور المفتحة، وأيضاً دوائر كاملة متغيرة ومربعات متغيرة



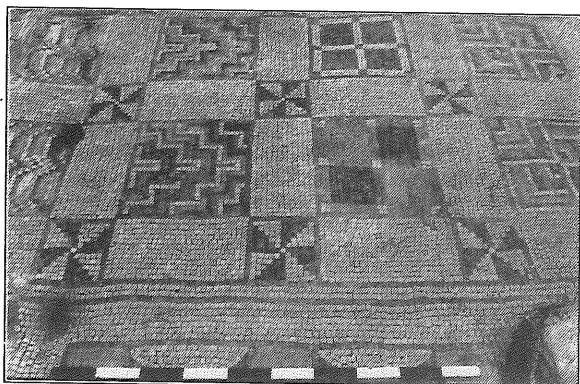
شكل (١٤) زخرفة لأشكال هندسية تعتمد في مركزها الصليب، توجد في الجهة الشرقية من الرواق الجنوبي.

للقيس سوزيم» (أنظر الشكل ٥).

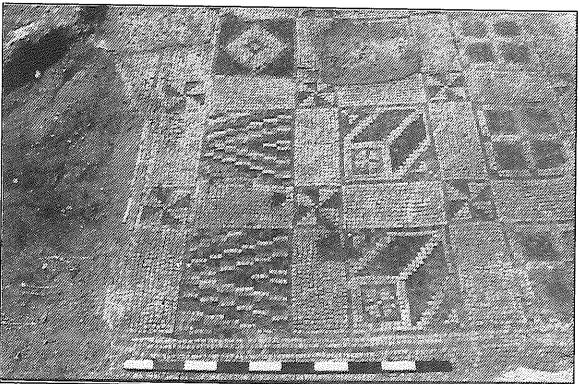
٤- فسيفساء الرواقين الشمالي والجنوبي
رصفت أرضيات الرواقين الشمالي والجنوبي للكنيسة بمكعبات الفسيفساء الملونة ذات الألوان الأبيض، الرمادي، البنفسجي، الأحمر، البرتقالي والأصفر. معظم مساحة الرواقين محتفظة بالأرضية الفسيفسائية باستثناء جزء من الجهة الغربية من الرواق الشمالي المعرض للتدمير، وبعض الأجزاء في الرواق الجنوبي. استخدم في زخرفة هذه الأرضيات الأشكال الهندسية المتميزة بتناقضها اللوني ودقة توزيع المساحات بينها بشكل يدل على المقدرة الفنية والرياضية للفنان الذي صمم ونفذ مثل هذا العمل.

صممت الأشكال الهندسية داخل شبكة مربعات متغيرة يتوزع بينها وبشكل متكرر مربع صغير فيه شكل صليب مروحى (شكل ١٢، ١٣).

استخدم اللون الرمادي الفامق كإطار لمعظم المربعات. أهم الأشكال الهندسية المتواجدة شكل معين بداخله شكل معين صغير، وصليب صغير مع ما يشبه الجرس، ومربيعات عددها أربعة تتلاقى رؤوسها من إحدى زواياها، وخطوط بشكل درجات متكررة، وخطوط بشكل أمواج، وخطوط بشكل شعاع. كما يتوزع



شكل (١٢) أشكال هندسية في فسيفساء الرواق الشمالي.



شكل (١٣) أشكال هندسية في فسيفساء الرواق الشمالي.

بمستطيل كبير ٣٦٠×٧٠ سم تتوزع فيه أشكال معينية يتوسطها مريعتا صفيرة. أما ألوان المكعبات التي استخدمت في الرواق الأوسط فهي الأحمر، الأصفر، البرتقالي، الرمادي، إضافة إلى اللون الأبيض.

٤- فسيفساء الحجرات الملحق بالكنيسة

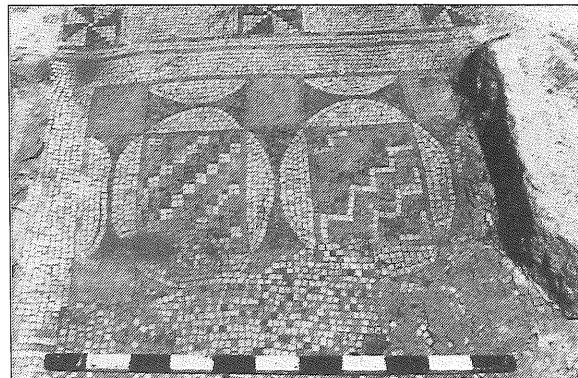
عُثر على بقايا فسيفساء بيضاء اللون في الحجرة الشرقية / الجنوبية المجاورة لحنية الكنيسة، كما عُثر على رقعة مماثلة في الناحية الشرقية / الشمالية المجاورة للحنية. وعُثر أيضاً على رقق متباينة من الفسيفساء ذي المكعبات الصفيحة الحجم ٨×٨ سم وهي أصغر حجماً من المكعبات الفسيفسائية المستخدمة داخل الأروقة، ورغم تعرض الجزء الموجود فيها للتدمير، وهو الجزء الجنوبي من الكنيسة، إلا أنها ولحسن الحظ احتفظت بزخرفة شجيرة ذات ثمر ربما كانت شجيرة تفاح، يجاورها مثاثلات ملونة أحدها فيها خطوط متكسرة بشكل أمواج، استخدمت الألوان الأحمر، البرتقالي، الأصفر، الرمادي. وجاوار هذه الزخرفة نقش كتابي تعرضت بعض أجزائه للتدمير مما حال دون قراءة واضحة له، غير أنه يفهم مما تبقى من كلماته أنه نقش تذكاري يُمجّد رب، ويعود لنهاية القرن السابع الميلادي، وهذا النقش لا يزال قيد الدراسة^٢ (شكل ٩، ٨).

وبما أن هذا النقش والفصيوفسائي المكتشفة قريباً منه في الجزء الجنوبي خارج الرواق الجنوبي للكنيسة مثاث كنيسة أقدم من العصر البيزنطي في أواخر القرن السابع الميلادي، يعزز ذلك الاحتمال نص النقش الموجود في هيكل الكنيسة التي يتحدث عن تجديدات في بناء الكنيسة.

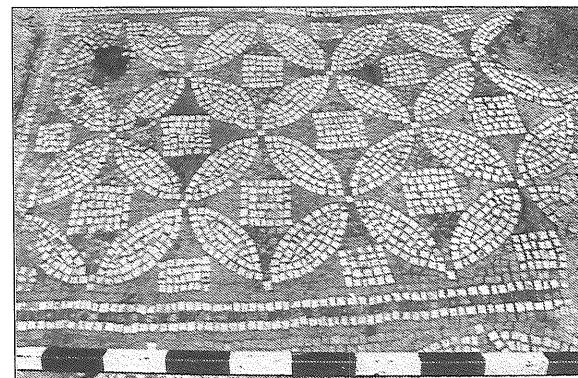
تقنية عمل الفسيفساء في هذه الكنيسة

يبدو أن المكعبات الملونة للفسيفساء قد جرى استخدامها إما من مناطق محلية مشهورة بالفصيوفسائي كمأدبا أو من خارج البلاد نظراً لندرة بعض الألوان في الطبيعة كاللون البنفسجي مثلاً. كما أنه قد استخدمت ثلاثة أحجام للمكعبات، الأول قياس ١×١ سم واستخدم في رصف أرضيات الأروقة والحنية، والثاني قياس ٨×٨ سم واستخدم في رصف الجزء الجنوبي من الكنيسة في الحجرات الملحقة، والثالث قياس ٢×٢ سم واستخدم في عمليات الترميم اللاحقة، إضافة إلى استخدامه في رصف

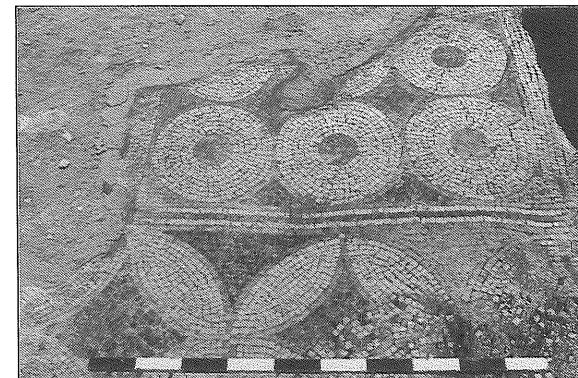
(الأشكال ١٥، ١٦، ١٧)، كما يلاحظ وجود رقعة من الفسيفساء مرمرة في فترة لاحقة من مكعبات فسيفسائية ملونة رصفت بشكل عشوائي كان الهدف منها ملء الفراغ من غير عناية بالتشكيل الفني الزخرفي (شكل ١٥). وتتشابه زخرفة المساحات بين القواعد الفاصلة بين الرواق الجنوبي والرواق الأوسط. وقد استخدم في زخرفة الرواق الأوسط إطار بعرض ٥٠ سم من دوائر متغيرة متكررة، يتوسط كل دائرة شكل شبه معيني، ويحيط هذا الإطار



شكل (١٥) زخرفة لأشكال هندسية بين الأروقة، وُلُاحظت عمليات ترميم وترقيع لاحقة.



شكل (١٦) زخرفة دوائر متداخلة بين الأروقة.



شكل (١٧) زخرفة دوائر متغيرة وبطلات ذهور بين الأروقة.

^٢- سيتم نشر دراسة هذا النقش مع النقشين الآخرين المكتشفين في بحث مشترك بين كاتب هذا التقرير ود. دومينيك محيسن.

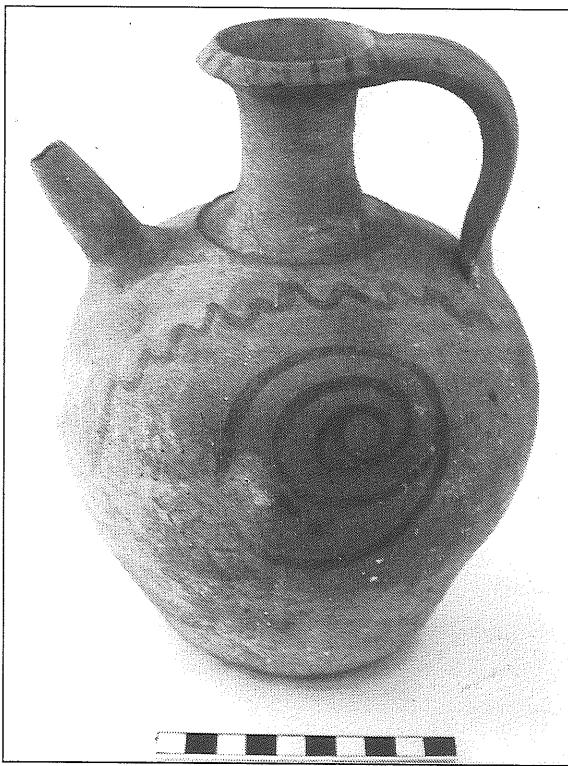


أ. وجه العملة



ب. ظهر العملة

شكل (١٨) قطعة عملة برونزية من عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان قبل تعریف العملة.



شكل (١٩) إبريق فخاري من القرن الثامن الميلادي (أموي).

البهو الأمامي الخارجي للكنيسة.
لوحظ أن طبقة الفسيفساء قد وضعت على طبقة
ملاط رقيقة أسفلها طبقة رقيقة أيضاً من الرمل
الأبيض ثم طبقة من الصخر الطبيعي أو التراب. وقد
أدلت هذه التركيبة إلى هبوط الأرضيات في بعض
المناطق بسبب أساسها الترابي.

المكتشفات الأثرية الأخرى

تم الكشف أشاء التقى عن عدة لقى أثرية من
مخلفات الكنيسة وتعود لتاريخ انهدامها إثر تعرضها
لزلزال عام ٧٤٧م في العصر الأموي، وفيما يلي وصفاً
لهذه القطع:

١- قطعة عملة برونزية

قطر هذه القطعة ٢٢ سم. يمثل الوجه صورة
الإمبراطور البيزنطي وعلى جانبيه ولديه. والظاهر عليه
حرف M يعلوه صليب محور. كتب على نطاق القطعة
اسم دار الضرب باللغة العربية وهي (طبرية)، وباللغة
اليونانية وهي (THBEPIA ΔΟ). تُؤرخ هذه العملة
لعهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان في فترة ما
قبل التعریف حوالي ٧٣٥هـ. (القسوس والطراونة ١٩٩١
Walker 1958: ٥٤، ٥٥). (شكل ١٨).

٢- إبريق فخاري

وهو كامل الشكل ذو لونبني فاتح، الجسم منتظم
له فوهة دائرة أسفلها خط دائري غائر، وله صنبور
بارز، وقاعدة حلقة مجوفة، على شفة فوته خطوط
طويلة قصيرة، وعلى جسمه الخارجي من الجهتين
زخرفة لخط متجموج وخط حلزوني متداخل، ارتفاع
الإبريق ٢٣ سم، ويُؤرخ للقرن الثامن الميلادي، العصر
الأموي (شكل ١٩).

٣- صليب برونزى

صلب ذو أربعة أطراف، سماكة المعدن ٤ سم، طول
الصلب في طرفيه الطولين ١٧ سم، طول الصليب في
طرفيه القصرين ١١، ٥ سم، يوجد في طرفيين من
أطرافه ثقبين دائريين، يتصل بكل ثقب منها طرف
جزير برونزى تتصل حلقاته ببعضها البعض وهي من
الحجم الصغير، طول الجنزير في كل طرف على حدة
٧٥ سم يتوسطه خطاف من المعدن للتعليق، وعلى الأغلب
يُعلق هذا الصليب على جدران الكنيسة (شكل ٢٠).

٤- صليب برونزى

عبارة عن صليب يتوسط حلقة دائرة من البرونز



شكل (٢١) صليب ضمن حلقة دائرة برونزية متصل بسلسلة، كان يعلق على الجدران.

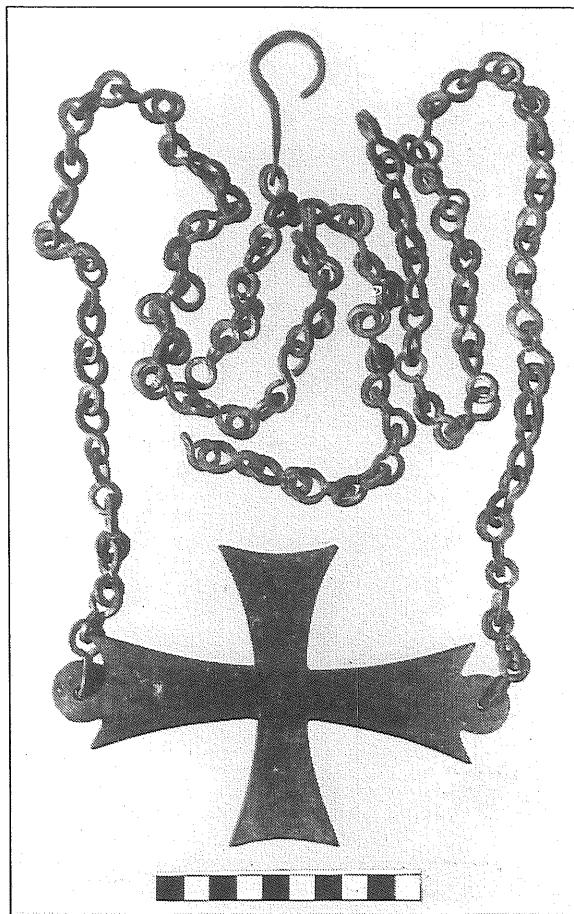
قرية الزعترة جنوب مدينة اربد وتؤرخ للقرن السادس الميلادي (كراسنة ١٩٩٧: ٣٤). وفي كنيسة ماريانوس في جرش وتؤرخ أيضاً للقرن السادس الميلادي (Gawlikowski, M. and Musa, A. 1986: 1962) (شكل ٢٢).

٦- حمالة لسراج إضاءة (ثريا)

عبارة عن قطعة من البرونز دائيرية الشكل تمثل حمالة سراج إضاءة، قطرها ٢٤ سم، سمك معدنها ٣ مم، مكونة من ستة دوائر صغيرة مفرغة، بين كل دائرة وأخرى تجويف، قطر كل دائرة ٤ سم، يتوسط الدوائر الصغيرة والتجاويف دائرة كبيرة مفرغة بقطر ١ سم. يوجد بين الدوائر الصغيرة ثلاثة حلقات موزعة في ثلاثة أماكن لثبت جنائزير، اثنين منها مفقودان، كما أن خطاف التعليق مفقود. (شكل ٢٣).

هذه الحمالة والحمالة السابقة كانتا تعلقان في سقف الكنيسة للإضاءة.

ووجدت جميع المكتشفات الآنفة الذكر في أروقة الكنيسة وقريبة من سطح الفسيفساء، مما يشير إلى



شكل (٢٠) صليب برونز ذي سلسلة، كان يعلق بواسطة خطاف على جدران الكنيسة.

في طرفيها ثقبين يتصل بهما جنائزير برونز ذي حلقات صغيرة، طول الجنائزير في كل جهة ٥١ سم، قطر الحلقة ٧ سم سمك معدنها ٣ مم، يوجد في وسط الجنائزير خطاف من المعدن يستعمل للتعليق.

ووجد مثل هذه القطعة التي يتوسطها الصليب قطعة مشابهة في كنيسة حوفا الوسطية التي تعود إلى أواخر القرن الخامس الميلادي والقرن السادس الميلادي (أبو دلو ١٩٩٤: ١٥) (شكل ٢١).

٥- حمالة لسراج إضاءة (ثريا)

عبارة عن قطعة من معدن البرونز تمثل حمالة لسراج إضاءة، سمك معدنها ٣ مم، قطر كل دائرة منها ٤ سم، وبين كل دائرة وأخرى مثلث مفرغ برأس دائري صغير عدد المثلثات ستة. يتوسط الدوائر والمثلثات دائرة كبيرة مفرغة بقطر ١٣ سم، وعليها ثلاثة حلقات صغيرة لثبت ثلاثة جنائزير، طول كل جنائزير حوالي ١٧ سم، تلتقي بخطاف من المعدن للتعليق طوله ٥٧ سم.

ووجد مثل هذه القطعة في كنيسة خربة داريا في

أن فسيفساء الكنيسة قد رصفت في فترة لاحقة لاستخدام الكنيسة بشكل تجديدات على يد القسيس (كرياكوس) في زمن الكاهن (بيشوب بولص) وهذا يعطي مؤشراً أن الكنيسة كانت قائمة في مرحلة أولى بأرضية فسيفساء أقدم، وأن التجديفات جاءت تحسيناً في وضع الكنيسة وعمارتها.

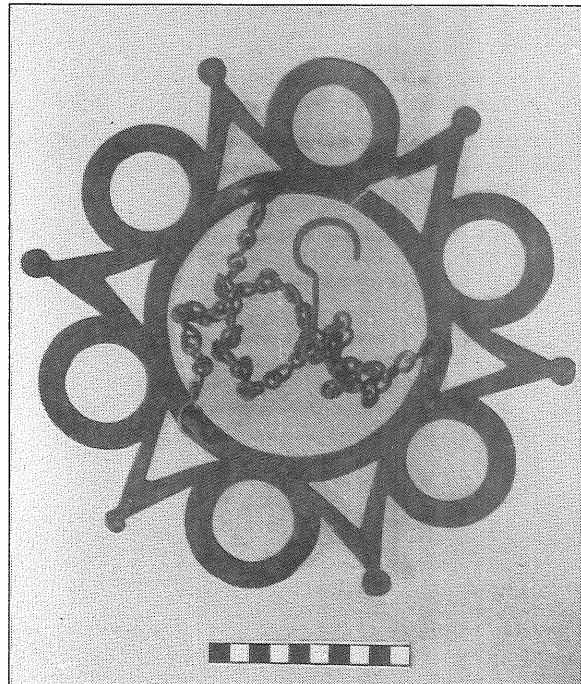
٢- تشير عمليات الترقيع المتعددة في الأرضية الفسيفاسائية داخل الأروقة إلى طول فترة استخدام الكنيسة بعد رصفها، والى ضعف الحالة الفنية والاقتصادية لمعاصري الفترة اللاحقة التي عملت في عصرهم الترقيعات العشوائية والتي لم يراع فيها أي إبداع، وكانت فقط مجرد ملء فراغات.

٣- إن تركيز موضوع الزخرفة على العناصر الهندسية المختلفة يعطي دلالة قوية على أن مذهب مستخدمي هذه الكنيسة كان من المذاهب الدينية المعارضه لوضع صور روحانية في أرضيات الكنائس حيث لم يُثر على أي شكل ذي روح.

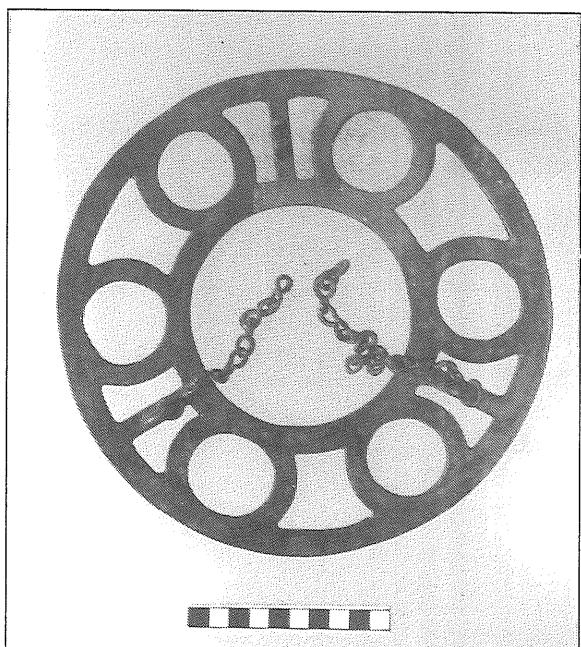
٤- إن دقة الزخارف الهندسية وتنوع أشكالها وألوانها تشير إلى الاهتمام البالغ من قبل مستخدمي هذه الكنيسة بزخرفتها وإلى المبالغ المالية التي صرفت على هذا الإنجاز كثمن مواد وأجور عمال وفناني، وهذا وبالتالي يدل على الوضع المادي الجيد لسكان المنطقة.

٥- إن العثور على كم كبير من حجارة البناء المشدبة منهارة فوق أرضيات الأروقة والهيكل تشير إلى أن المبني كان ذو نمط معماري رفيع وأن القواعد التي تفصل بين الأروقة وعلى الجوانب كانت ترفع أقواس والتي بدورها ترفع السقف. وعثر على بقايا القصارة البيضاء التي كانت تغطي حجارة الجدران والقواعد وبقايا قصارة عليها ألوان وبقايا رسومات، مما يشير إلى احتتمال وجود رسوم مائية (فرسيكوا) كانت قائمة على الجدران.

٦- إن إلحاقي مدفن في مقدمة البهو الأمامي للكنيسة ووجود ناووس حجري في الجهة الشمالية الشرقية من الكنيسة يشيران إلى العناية الدينية ببعض الأشخاص المتوفين والذين ربما كانوا من رجالات الدين، حيث ذكر اسم أحدهم في نقش الهيكل وهو القسيس (سوزيم)، الذي عملت الفسيفساء تخليداً له. أما ظاهرة إلحاقي مدافن بالكنائس فقد وجدت في كنائس مختلفة من العصر البيزنطي مثل: كنيسة خربة البرز في سما الروسان (الخصاونة ١٩٩٤: ٢١-٢٦).



شكل (٢٢) حمالة سراج إضاءة (ثريا) من البرونز.



شكل (٢٣) حمالة سراج إضاءة (ثريا) من البرونز.

أن مواقعها أصلية حيث بقىت على حالها منذ تاريخ هجر الكنيسة إثر زلزال عام ٧٤٧ م.

الاستنتاجات

في ضوء المكتشفات الأثرية يمكن أن نخرج بعدد من الاستنتاجات:

١- يشير النقشان الواقعان في منطقة الهيكل إلى أن



شكل (٢٤) خطاً من البرونز لتعليق قطعة معدنية.

وعادل حداد من قسم التصوير في دائرة الآثار العامة، والرسام موفق بطانية والمصور حسين دياباجة من جامعة اليرموك، والدكتور زيدان كفافي المدير السابق لمتحف الآثار والأنثروبولوجيا، والدكتورة دومنيك المحسن لقراءتها النقوش، والسائل خلف الحموري.

اسماعيل ملحم
مكتب آثار لواء الكورة
دائرة الآثار العامة

حوفا الوسطية (أبو دلو ١٩٩٤: ١٩٩-١٩٦).
٧- بناء على مساحة هذه الكنيسة وأرقتها يمكن تقدير سعتها من المصلين حوالي ١٠٠ شخص على الأقل، وإذا ما ربطنا هذا العدد بعائالتهم، فهذا يعني أن عدد سكان القرية يتجاوز هذا العدد خمسة إلى ستة أضعاف، مما يشير على أن هؤلاء السكان كان لهم بيوت ومباني قرية، وهذا يعزز ضرورة الاهتمام بهذه المنطقة أثرياً.

تأريخ الكنيسة:

إن الدمار الذي لحق بمبني الكنيسة ووجود العديد من حجارة البناء ساقطة مباشرة على الأرضية الفسيفسائية وجود الكسر الفخارية والإبريق الفخاري الكامل الذي عثر عليه في أروقة الكنيسة، إضافة إلى قطعة العملة المؤرخة إلى حوالي ٥٧٣هـ/١١٩٣م والنقوش الكتابية الثلاثة تشير إلى أن موقع الكنيسة قد هُجر في أعقاب دمار واسع تعرضت له المنطقة والذي يغلب أنه نتيجة زلزال قوي مدمّر، وعلى الأرجح زلزال سنة ٧٤٧م في العصر الأموي. وبالتالي يمكن القول أن تأريخ هذه الكنيسة يعود لأواخر العصر البيزنطي وللعصر الأموي أي في أواخر القرن السابع الميلادي وحتى أواسط القرن الثامن الميلادي، وبذلك فهي من الكنائس القليلة في الأردن التي عاصرت العصر الأموي، وفي هذا إشارة إلى التسامح الديني الذي ساد المنطقة في العصر الأموي بين سكانها العرب.

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر والتقدير للسادة إبراهيم الحاج حسن الذي أشرف على صيانة وترميم القطع الأثرية المكتشفة، سالم الدعجة، محمد فايز، أسامة جبر،

المراجع العربية

ابن منظور، أبو الفضل حمال الدين محمد بن مكرم.

لسان العرب. المجلد الرابع. دار صادر. بيروت.

١٩٩٠
أبو دلو، ربي

التقرير النهائي لحفريات حوفا الوسطية ١٩٩٢م. حولية دائرة الآثار العامة، المجلد الثامن والثلاثون. ص:

١٩٥-١٩٤

الخساونة، ناصر

١٩٩٤ تقرير نهائي عن حفريات خربة البرز - سما الروسان ١٩٩٣م. حولية دائرة الآثار العامة، المجلد الثامن

. ٢١-٢٩

القسوس، نايف والطراونة، خلف.

١٩٩١ مسكونات العالمين القديم والإسلامي. البنك العربي، عمان.

كراسنة، وجيه

١٩٩٧ حفريات كنيسة خربة داريا لعام ١٩٩٥م، الزعترة - صمد. حولية دائرة الآثار العامة، المجلد الحادي

. ٢١-٣٦

Bibliography

Al-Muheisen, Z.

1991 Yasileh: A New Site in Northern Jordan. *ADAJ* 35: 341-346.

Gawlikowski, M. and Musa, A.

1986 The Church of Bishop Marianos. Pp. 137-162 in F. Zayadine (ed.) *Jerash Archaeological Project 1981-1983*, Vol. I. Amman: Department of Antiquities.

Mittmann, S.

1970 *Beiträge Zur Siedlungs- und Territorialgeschichte des Nördlichen Ostjordanlandes*. Wiesbaden: Otto Harrassowitz.

Walker, J. et.al

1958 *A Catalogue of the Arab-Byzantine and Post-Reform Umayyad Coins*. The Trustees of the British Museum. London.

